تاريخ محمد علي باشا

حروب ابرهيم باشا

(تابع ما قبلهُ)

ان فوز ابرهيم باشا على الجنود العثمانية لم يرض انكلترا لا لأنها كانت تكره محمد علي وترغب في مناوأتهِ بل لأنها تحسب ان سلامة الدولة العلية لازمة لها لكي تبقى سدًّا منيعًا في سبيل الروس ولانها خشيت ان تدور الدائرة على ابرهيم باشا ولو مرةً واحدة فيندحر اندحارًا يضعف مركز ابيهِ في مصر فتعزلهُ الدولة منها وتعود الفوضى الى القطر المصري وهذا لا يرضيها لانها استفادت اكثر من كل الدول الاوربية باستتباب الأمن في الديار المصرية وتسهيل سبُل المواصلات فيها وقد اعربت عن ذلك بكلام قالهُ سفيرها في فينا للكولونل هوجس الذي جُعل حينئذٍ وكيلاً سياسيًّا لبريطانيا في مصر وهو "قل لمحمد علي ان انكلترا لا تنوي لهُ العداء وان النظام والامن اللذين نشرهما في القطر المصري اثمن في عينيها مما هما في عيون سائر الدول لانهما سهَّلا عليها المواصلات الى الهند وان نجاح التجارة في القطر المصري نافع لنا ولذلك يهمنا و يفيدنا جدًّا ان يبقى متمتعًا بحسن الادارة التي اوجدها محمد علي فيهِ فهي افريقية نحن اصدقاء لمحمد علي ولسياستهِ ونودُّ بقاءها واذا لم نكن كذلك في اسيا فليس لاننا نكرههُ بل لان وجودهُ في اسيا يضعف سلطنة آل عثمان ويحلها وهو لا يستطيع ان ينشئ سلطنة تقوم مقامها ونحن عازمون ان نبذل كل مرتخص وغالٍ في سبيل الاحتفاظ بتلك السلطنة

"فان كان غرض محمد علي ان يمهِّد الملك لاولادهِ من بعدهِ فذلك انما يكون في افريقية هناك تساعدهُ اوربا وتصالحهُ مع الباب العالي ولهُ ان يقوي البناء الذي انشأهُ فيها ويعززهُ بما شاء حتى يتركهُ لاولادهِ مشيد البنيان معزز الاركان . والامر على ضد ذلك في اسيا لانهُ اذا قام فيها بقي العداء بينهُ وبين الباب العالي فإما ان يَقهَر او يُقهَر ولكن هاتين النتيجتين غير متوازنتين فاذا قُهر في معركة واحدة اضطرَّ ان ينكص على عقبهِ الى افريقية واذا فاز فغاية ما ينالهُ ان الطريق تفتح لهُ ليزحف على الاستانة وهي امنع من ان ينالها فلا يستتبُّ لهُ الفوز التام وغاية ما يكسبهُ في اسيا ان يحتلَّ بعض الولايات احتلالاً وقتيًّا وغاية ما يخسرهُ تُعلَم مما اصاب كلَّ فاتح اذا دُحر في بلاد غير بلادهِ"

ونقل الكولونل هوجس هذا الكلام الى محمد علي فلم يتزحزح عن عزمهِ بل قال لقد استوليتُ على هذه الولايات ولا اتخلَّى عنها ما دمت حيًّا

وكان لورد بامرستون في الوزارة فامر الكولونل هدجس بما تعريبهُ

اذا قابلت محمد علي وذكرت حقوق السلطان فقل لسموه ان حكومتك امرتك ان تقول لهُ " ان ليس لهُ حقٌ من الحقوق الاَّ ما منحهُ اياهُ السلطان وان السلطة الشرعية الوحيدة التي لهُ هي السلطة التي خوَّلهُ اياها السلطان على جانب من سلطتهِ وقد ائتمنهُ عليها لكي يستخدمها في طاعتهِ والعمل باوامرهِ . وان للسلطان حقًّا بان ينزع منهُ ما وهبهُ اياهُ والمرجح انهُ يفعل ذلك اذا رأى ان سلامتهُ تقتضيهِ . وانهُ اذا اراد السلطان ذلك ولم يكن عندهُ الوسائل الكافية للدفاع فلهُ حلفاء يساعدونهُ . وبيّن لمحمد علي ان الحامية التي تستأمن قبل ان تؤخذ حصونها تنال من التساهل في شروط التسليم اكثر مما تنالهُ الحامية التي لا تستأمن الاَّ بعد ان تخسر كل شيء "

الاَّ ان هذا الكلام الصريح لم يصرف محمد علي عن عزمهِ لان الحكومة الفرنسويَّة كانت تشد ازرهُ فان المسيو تيبرس (وكانت مهام الامور في يدهِ حينئذٍ) حسب ان مصالح انكلترا ومصالح فرنسا متضاربة في مصر فاذا ضعفت مصالح انكلترا قويت مصالح فرنسا . فأغرى محمد علي بذلك وسدَّ اذنيهِ عن نصح انكلترا ووعيدها

واتفقت انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا مع الباب العالي على ان تكون ولاية مصر لمحمد علي ونسلهِ من بعدهِ وتكون لهُ ايضًا الولاية على عكاء وجنوبي سورية مدى عمرهِ على شرط ان يقبل بذلك ويخرج من بقية سورية في مدة عشرة ايام . فقبل محمد علي ولاية مصر ولكنهُ ابى ان يخرج جنودهُ من سورية حاسبًا انهُ خدم الدولة خدمًا عديدة توَّهلهُ لامتلاك سورية كلها وانتظر ان تؤيدهُ فرنسا في ذلك . ولما مضت العشرة الايام ولم يجب الدول الى ما طلبت منهُ خرج معتمدوها من الاسكندرية واعلن الباب العالي انهُ عزل محمد علي عن ولاية مصر واستعدَّت الدول لاخراجهِ من سورية بالقوة . وثار اهالي لبنان عليهِ وهاك تفصيل ذلك منقولاً عما كتبهُ الدكتور ميخائيل مشاقه في تاريخهِ قال

"شاع سنة ١٢٥٦ هـ اتفاق الانكليز والنمسويين مع الدولة العثمانية على محمد علي وحضرت مراكبهم الى بيروت مع المراكب العثمانية وحضرت ايضًا مراكب فرنسوية وهي غير متحدة معهم وكان الظاهر لمصر ان فرنسا تدافع عنها ولذلك توقف المصريون عن قبول ما عُرض عليهم وهو ان تكون مصر لذرية محمد علي باشا يتوارثونها الارشد فالارشد مع الاستقلال بسياستها الداخلية ويُدفع عنها للدولة العلية ستون الف كيس كل سنة ويكون عدد عساكرهِ ومراكبهِ الحربية معينًا لا يُزاد عنهُ وان بر الشام يبقى في يدهِ مدة حياتهِ فقط وما عداها عمَّا في يدهِ

كالحجاز وكريت يرد للدولة فاذا لم يرتضِ بذلك في مدة عشرة ايام يؤخذ بر الشام من يدهِ وتترك لهُ بلاد مصر ثم يهل عشرة ايام اخرى فان لم يرتضِ تؤخذ منهُ بلاد مصر ايضاً . ولولا ثقة محمد علي بمواعيد فرنسا لقبل بما عرض عليهِ اولاً

"واما ابرهيم باشا فلما تحقق عصيان اهل كسروان بمساعي السنيور وود[1] قام لمحاربتهم باثني عشر الف عسكري من المشاة وابقى شريف باشا حاكماً في دمشق وارسل حنا بك بحري ليقيم عند الامير بشير رقيباً عليهِ . ولما وصل ابرهيم باشا بجنودهِ الى كسروان قاومهُ رجالها فانكسرت الجنود المصرية مراراً وارسل قنصل الانكليز في دمشق روفائيل مشاقه الى الامير بشير ليخبرهُ عن قرار الدول المتحدة وانهُ الاجدر بهِ ان يطيع الدولة . وطُلب من الامير ان يرسل معتمداً الى بيروت لمواجهة الكومودور نبير[2] فارسل اليهِ ابرهيم مشاقه سرًّا عن طريق صيدا وبعد المكالمة رجع الى الامير عن طريق صيدا ايضاً وذلك خفية عن بحري بك الذي أُقيم في سراي الامير ليراقب حركاتهِ وسكناتهِ . وكان من كلام الكومودور نبير لابرهيم مشاقه ان لابدَّ من اخراج المصريين من بلاد الشام فعلى الامير بشير ان لا يغرر بنفسهِ

ولما رفض محمد علي ما عُرض عليهِ صدر الامر باخراج المصريين من سورية بالقوة ورجع بحري بك الى دمشق قبل ضرب بيروت . وفي احدى الليالي اتى السنيور مرلاتو قنصل النمسا ليسهر عندي وسيق الكلام الى حضور المراكب الى بيروت فقلت لهُ انها فعلت عين الصواب في اخذها الاماكن الضعيفة اولاً ثم يكون لها الزمن الكافي لمحاصرة عكاء . فقال انظن ذلك فقلت لهُ هذا ما يظنهُ الجميع . فقال ان المراكب اتت بيروت اولاً لكثرة تجارة الاجانب فيها فخافت ان يقع عليها ضرر . ثم كم تظن ان عكاء تحتمل مع الانكليز . فقلت لهُ ان ابرهيم باشا حاربها سبعة اشهر ولم يكن داخلها قوياً كما هو الآن ثم زاد في تحصينها فيجب ان تزيد قوة الانكليز على قوتهِ حسب ما زاد في قوتها . فضحك وقال يا تعس من يقاوم الانكليز . فقلت ولكن عكاء حصينة جدًّا وقد زاد ابرهيم باشا في تحصينها . فقال نعم انا اعرفها بعد تحصينها فصارت تحتمل ضرب الانكليز ست ساعات لا غير . وكان عندي حينئذٍ رجل من انسباء بحري بك وهو صديق لي وقد سمع كل ما دار بيننا من الحديث فاوجست شرًّا وخفت من بلوغ الخبر الى الحكومة المصرية فطلبت من صديقي هذا ان يذهب

(١) هو رتشرد وود احد تراجمة سفارة الانكليز في الاستانة جاء لبنان لتعلم اللغة العربية ولاثارة اهاليهِ على الحكومة المصرية (٢) هو السر تشارلس نبير امير الاسطول الانكليزي واحد القواد المشهورين

حالاً ويخبر بحري بك عن لساني بكل ما سمعهُ . ففعل وفي الصباح اتاني رسول يطلبني لمقابلة بحري بك فتوجهت اليهِ فقال حضر فلان واخبرني ما هو كيت وكيت فاريد ان اتحققهُ منك لئلا يكون قد وقع فيهِ زيادة او نقصان . فقصصت عليهِ واقعة الحال فقال اريد منك ان تستعلم منهُ هل هو على ثقة ان الانكليز والنمسويين يحاربون مع الدولة وتردّ عليَّ الجواب باسرع ما يمكن . فقلت لهُ ان القنصل المشار اليهِ لا يسهر عندي دائمًا واذا ذهبت اليهِ بهذا السؤال فقد يفتكر افكارًا تمنعهُ عن الاخبار بالحقيقة فارجو منك ان تمهلني حتى ارى الطريق الاصلح لذلك

وفي المساء جاء في القنصل وكان حضورهُ اليَّ في ليلتين متواليتين نادرًا فقلت لهُ بعد حديث طويل انني لا ازال افتكر بقولك ان عكاء تؤخذ في ست ساعات ثم هل انت واثق ان المراكب اتت بيروت لصيانة اموال الاجانب فقط او هي مأمورة بالضرب مع المراكب العثمانية كما قلت البارحة . فقال ان المراكب الانكليزية والنمسوية ما حضرت الاَّ للضرب واما الفرنسويون فيبقون على الحياد

وفي الصباح ذهبت الى بحري بك واخبرتهُ بما سمعتهُ فاكفهرَّ وجههُ واستعاد في الحديث فاعدتهُ فقال الله يجازي الفرنسوي اذا بقي على الحياد لانهُ بذلك يخرب بيت افندينا ولولا مواعيدهُ بالمساعدة ما كان افندينا يخالف رأي الانكليز ويجعلهم لهُ خصومًا . فقلت لهُ ان بونابرت الذي ازعج ملوك الارض عجز عن عكاء وكان لها سور واحد وكان داخلها جزار باشا وجنودهُ لا تساوي طابورًا واحدًا من العسكر المصري والآن صارت عكاء ذات سورين وزاد تحصينها عن الاول وفيها عسكر ابرهيم باشا لا عسكر الجزار الضعيف . فقال ان الذي اعجز ابرهيم باشا عن فتح عكاء ليس تحصينها بل قوة الانكليز التي اتت ضدهُ وزاد عليها انقلاب جمهورية فرنسا عليهِ وقطعها عنهُ المدد وتعمّدها اهلاكهُ في هذه البلاد فاضطرَّ ان يقوم عن عكاء والاَّ فما هي عكاء وما كان اعظم منها بالنسبة الى اقتدار الملوك العظام فلو كانت قوة الاتراك وحدها موجهة ضد افندينا ما كان يبالي بها مهما كثرت عددًا وعُددًا وانت شاهدت بنفسك حربهُ في حمص وكيف كان الجمهور الكبير من الاتراك يهرب من وجه القليل من العسكر المصري . ثم ما كفانا مقاومة العدو القادم علينا من الخارج حتى اننا صرنا مضطرين لمقاومة موارنة شمالي لبنان الجاحدين لمعروف الدولة المصرية مع النصارى

فقلت لهُ أتسمح لي ان اتكلم بالحرية ام ابقى صامتًا فقال بل اود ان تتكلم بكل حرية عن كل ما يلوح في فكرك وبالاخص عن احوال جبل لبنان وماذا يصلح فسادها لانهُ اذا

كان لبنان معنا فهو الحصن لنا لا عكسه وانت تعرفهُ جيداً فلا بدَّ من انك تعرف ما يصلحهُ وما يفسدهُ

فقلت ان من القواعد المقررة بالاختبار ان المغتصب لبلاد اذا لم يحسن سياستها واحدث فيها غير المألوف عند اهاليها فلا بدَّ ان تصير لغيره كما صارت لهُ . فاولاً ان لبنان كان يدفع الى خزينة الولاية الفين وثلاثمائة كيس كل سنة فزدتم عليهِ اربعة آلاف كيس كل سنة ودائماً تطلبون منهُ رجالاً لمعونتكم وقت الحرب بدون اجرة فيتعطلون عن اشغالهم اللازمة لمعيشة عيالهم ويُقتَل منهم كثيرون . وليس افقر من اهالي لبنان في كل بلاد الشام نعم انهُ يخرج منهُ حرير من الف الى الف وخمسمائة قنطار ولكن هذه اكثرها من املاك الامراء والمشايخ والرهبان واهالي المدن كبيروت وطرابلس فالاهالي يبقى لهم القليل من حاصلات الجبل وهم نحو ثلثمائة الف نسمة وليس عندهم ارض لزرع الحبوب فيضطرون ان يشتروها من الخارج

ثانياً اي رئيس عشيرة يقتلونهُ ولم تهينوهُ وتنزعوا بلادهُ من يدهِ نعم ان الامير بشيراً بقي على لبنان كعادتهِ بامر خصوصي من محمد علي باشا ولكن بعد ان رتَّبتم على فقراء بلادهِ اربعة آلاف كيس سنوياً زيادة عن المرتَّب قبلاً حتى بلغ المطلوب ثلاثة اضعاف ما كان يطلب عادة وما كفى حتى تماديتم في اعمال تهين شرف اسمهِ بطلبكم منهُ تسليم اللاجئين اليهِ لكي يتوسط عندكم في الرأفة بهم ولما ارسلهم اليكم قطعتم رؤُوسهم بدلاً من قبول وساطتهِ

ثالثاً ان اهالي سورية لم يعتادوا العبودية كاهالي مصر الذين اعتادوها من زمن الفراعنة فقد اسرعتم الى استعبادهم باخذ اولادهم للعسكر من غير ان تعيّنوا أجلاً محدوداً لخدمتهم فالذي يؤخذ ابنهُ يعلم انهُ لا يرجع اليهِ الاَّ اذا لم يعد يصلح للحرب ولا للعمل اذا بقي ساثماً ثم انهم يأخذون الوحيد لوالديهِ ولا يراعون حالهما ولا صغر اطفالهِ وشدَّة حاجتهم اليهِ فهذهِ الامور كافية لتنفير الناس منكم اما التجار واصحاب الاموال فيرغبون في بقاء الحكومة المصرية لحفظ الامن وتحصيل الحقوق . وشمالي لبنان كان من قبل استيلاء المصريين على سورية ناقماً على الامير بشير وقدنشأت فيهِ فتنة جسيمة سنة ١٨٢١ وكان الاكليروس يعضد الاهالي والبطريرك يصحت عنهم ولا سيَّما البطريرك يوسف حبيش

فقال ومن اين تعلم ان البطريرك لا يميل الى الامير مع انهُ من طائفتهِ

فقلت هذا اعرفهُ من قبل انتظامهِ في سلك الكهنوت وقد كان اسمهُ الشيخ يعقوب حبيش كنت اتعلم عند اولاد فرنسيس باز في حوالي سنة ١٨١١ وكان الشيخ يعقوب هذا يقيم في دير القمر مدداً طويلة لدرس الشريعة على الشيخ شرف الدين القاضي مع خصم لهُ اسمهُ الشيخ

شمسين وهو من حزب الشيخ جنبلاط. وكان الشيخ يعقوب يمضي اكثر اوقاته عند اولاد باز يتذاكر مع احدهم في علوم اللغة وكان ينسب عدم نجاح دعواهُ الى رغبة الامير بشير في اذيتهِ بكلام يدل على عظم كراهتهِ لهُ وحقدهِ عليهِ . اما جنوبي لبنان فاذا لم يتدارك امرهُ امتدت الفتنة اليهِ لان الموارنة نحو نصف اهاليهِ والمشايخ الذين يربطونهم مع الدروز حتى يكونوا يدًا واحدة هم آل جنبلاط وعماد ونكد المنفيون الى مصر فاذا أُرجعوا الى اوطانهم وطُيبت خواطرهم فبواسطتهم يثبت جنوبي لبنان ويخشاهُ شماليهُ فهذا الذي اظنهُ وقد اكون غلطانًا

فقال وانا من رأيك والاجدر بنا احضار المشايخ من مصر

ثم ان المراكب ضربت بيروت واستولت عليها فورد امر من ابرهيم باشا الى شريف باشا بان يحجز على قنصلي انكلترا والنمسا في بيتيهما ويضع خفراء من العسكر على بابيهما . وبعد ايام ورد كتاب من ابرهيم باشا الى شريف باشا يقول لهُ فيهِ ان بيت قنصل الانكليز لهُ بابان فما المنفعة من وضع الخفر على واحد منهما . وكان ذلك صحيحًا . وكانت المكالمات مع دروز حوران تتم في بيتي بواسطة الترجمان وكنت افعل ما يلزم لقنصل الانكليز من المكالمات وتوزيع الاعلانات سرًّا لا كرهًا بالحكومة المصريَّة ولا حبًّا بالحكومة التركية بل لانني منتمٍ الى الدولة الانكليزيَّة وخدمتها واجبة عليَّ لانني من مأموريها فعند ما كانت تساعد المصريين كنت اسير حسب رغبتها وعند ما صارت تساعد الاتراك صرت اساعدهم معها وفي الحالتين ابذل جهدي لكي لا اضرَّ احدًا بل اساعد كل احد حسب طاقتي

ثم حاق الفشل بالعساكر المصريَّة لان رجال كسروان اتتهم الاسلحة والمهمات الحربية والعساكر المصريَّة ملَّت مواصلة الحروب . ولما رأى ابرهيم باشا تأخر عساكرهِ سار بهم الى زحلة غربي البقاع حاسبًا ان خصومهُ يطمعون ويتبعونهُ وهناك سهل فسيح تسهل فيهِ الحركات العسكريَّة فيفتك بهم لكن اهالي الجبل لم يتبعوهُ بل اكتفوا بخروجهِ من بلادهم

وفي غضون ذلك استولت الدولة على مدينة صيداء. وصدر الامر الى الامير بشير لينزل اليها في يوم معيَّن فيفوَّض اليهِ حكم الجبل . فارسل الى حفيدهِ الامير مجيد لكي يتخلَّص من معسكر ابرهيم باشا ويأتي اليهِ مسرعًا وطلب من اندراوس مشاقه ان يحصي ما عندهُ من النقود في دار الحريم فاحصاها فوجدها ثمانية آلاف وثلاثمائة وسبعين كيسًا وهي تساوي حينئذٍ اربعة وستين الف ليرا فرنسوية (٦٤ الف بنتو) . فامرهُ ان يضع الثمانية الآلاف في أكياس ويكتب على كل كيس مقدار ما فيهِ ويضعها في صندوق ويأتيهُ بمفتاحهِ . فعمل

كما امرهُ وقال لهُ ماذا افعل بباقي الدراهم فاجابهُ ابقها لترسلها الى البطريرك (بطريرك الموارنة) . فقال ان سيدنا البطريرك لا يحتاج الى النقود وفي الزم لسعادتك مما هي لهُ . فتنهَّد الامير وقال ان ارسالي النقود الى البطريرك الزم لي من كل نفقاتي

ولما بلغ الامير مجيدًا امر جدهِ احتال وتخلَّص من العسكر المصري ولكنهُ لم يصل الى جدهِ الَّا في اليوم الذي عيَّن لهُ ليصل الى صيداء بجميع اولادهِ واحفادهِ . ولما وصل صيداء خرج خالد باشا للقائهِ بالعساكر واحتفل بهِ كثيرًا وكتب الى بيروت عن وصولهِ الى صيداء فأتى الامر ان يمضي الى بيروت فمضى فلاموهُ على تأخرهِ ولم يقبلوا لهُ عذرًا وخيَّروهُ في الاقامة حيث شاء الَّا في سوريا وفرنسا فاختار الاقامة في مالطة وامهلوهُ ليرتِّب امورهُ . وارسل اليهِ البطريرك الخوري نقولا مراد ليكون معهُ لاجل الخدمة الدينية وهو في الحقيقة رقيب عليهِ . فسار الامير بكل عائلتهِ وخدمهِ الى مالطة.

وبقي ابرهيم باشا في زحلة . وشاع في دمشق ان فردوس بك اتى الى اخوتهِ في دمشق وهو ابن علي آغا مملوك ناصيف باشا العظم الذي كان مع الصدر الاعظم في محاربة الفرنسوية بمصر سنة ١٨٠١ وتزوج علي آغا بابنتهِ وولد لهُ منها بنون وبنات وتزوج شريف باشا واحدة منهنَّ . وكان فردوس بك مع عساكر السلطان . وذات يوم طلبني يحيى بك وسألني قائلاً هل علمتَ بقدوم فردوس بك الى دمشق فقلت سمعت بقدومهِ ورأيت اخاهُ عاكف بك في احد البيوت وسألتهُ عنهُ فاخبرني انهُ حضر الى بيروت وليس الى دمشق . فقال بلغني انهُ حضر الى دمشق وانت طبيب تدخل كل البيوت فارجو ان تحقق لي ذلك . وكنت اعلم انهُ اتى الى حاصبيا الى الامير سعد الدين وألبس ملابس اهل الجبل وأُوصل الى دمشق ولكنني خفت ان أُخبر بذلك فيُقبض عليهِ ويُقتَل وقلت ليحيى بك ان البكوات المشار اليهم اصدقائي وانا اتردَّد عليهم ولكنني لا ادخل دور الحريم لانني لست طبيبهم . والطبيب نفسهُ لا يدخل دار الحريم الَّا اذا طلبوهُ لذلك . فقال ومن هو طبيبهم قلت روفان صيدح الذي تقصد ان تزوج ابن اخيك بابنتهِ

وكان متسلِّم دمشق حينئذٍ حافظ بك بن عبدالله باشا العظم وكان من المخلصين للحكومة المصرية وهو من اقارب فردوس بك فاخبر يحيى بك ان فردوس بك اتى دمشق واجتمع في بيتهِ بشريف باشا ثم عاد الى بيروت ويجب ان تخبر ابرهيم باشا بذلك فقال يحيى بك وما هو الدليل الذي تثبت بهِ قولنا لو انكروهُ فقال حافظ بك هلمَّ معي تتغدَّ سوية في بيتي وهناك ترى الدليل فمضى معهُ وبعد الطعام دخلا مخدعًا واستدعى حافظ بك ولدًا لاخي فردوس

بك وقال لهُ اي متى يخرج عمك فردوس من الحريم . فقال الولد ان عمي سافر منذ ثمانية ايام وما تعوَّق عندنا غير يومين . فقال لهُ اذًا ما صبر حتى قابل صهرهُ شريف باشا فقال الولد ان الباشا اتى الى هنا تاني ليلة وسهرا وحدهما في القصر وسافر عمي في الليلة التالية . ثم صرف الولد وقال ليحيي بك أبقي عندك شك . فاجاب كلاَّ ولكن ابقِ ذلك في سرك الى ان نخبر ابرهيم باشا ونجري حسب ارادتهِ

وكان يحيي بك يكرهُ الوشاية بشريف باشا لانهُ صديقهُ ولانهما تعلما وتهذبا معًا عند عبود اليحيي ولكنهُ كان يخشى ان يبلغ الامر مسامع ابرهيم باشا فيرى انهُ اخفى عنهُ خبرًا مثل هذا فيبطش بهِ فاجتمع بشريف باشا وقصَّ عليهِ واقعة الحال وقال لهُ صرتَ في خطر وان هربت فقد لا تسلم وتفقد جميع اموالك ومقتنياتك واذا انا كتمت الخبر عن ابرهيم باشا فلا يكتمهُ عنهُ الذي اخبرني بهِ وحينئذٍ يحسبني خائنًا ويهلكني معك . فاتفقا على ان يحيي بك يكتب الى ابرهيم باشا لكي يستدعيهُ اليهِ بكتاب يرسلهُ الى شريف باشا فورد كتاب الى شريف باشا من ابرهيم باشا يقول فيهِ لا بدَّ من المذاكرة في بعض المهام والحالة الحاضرة لا تسمح بخروجكم من دمشق فارسلوا الينا يحيي بك للمذاكرة معهُ . فمضى يحيي بك حالاً وقصَّ على ابرهيم باشا واقعة الحال فاستشاط غيظًا وقال لا بدَّ من قتل شريف باشا فقال يحيي بك نعم ولكن لا بدَّ من النظر في العواقب قبل الحكم فان اذنتموني في الكلام اتكلم فقال تكلم

فقال ان شريف باشا ليس غريبًا عنكم بل هو من انسبائكم وقد ربَّيتموهُ واحسنتم اليهِ ورفعتم قدرهُ وقطعتم لهُ ثلاثة آلاف كيس كل سنة حال كون السلطنة لا تعطي مَن كان في رتبتهِ غير خمسة آلاف غرش شهريًا وصار لهُ عقارات كثيرة في الاقليم المصري والشامي وزاد على ذلك انكم جعلتموهُ حكمدارًا على اقليم سورية . فهذا اذا لم يحفظ ولاءكم فهل يرجى حفظ الولاء من كل الذين دونهُ وهم ليسوا من انسبائكم ولاهم حاصلون على شيء من النعم التي حصل عليها واذا كان خصومكم قد نجحوا في اغراء اعقل من تعتمدون عليهِ من انسبائكم المغمورين بانعامكم وليس عندهُ قوة عسكرية يرجونها او يتقونها فهل يؤمن انهم لا يفلحون في اغراء رؤساء عساكرنا الذين يرجونهم ويتقونهم . فالآن اذا قتلت شريف باشا نخشى ان يكون لهُ امثال في رؤساء العساكر فينفرون وتقوم الفتنة في عسكرنا ويقوى الخصم علينا ورأيي ان تنزل الى دمشق بالعساكر ونعمل هناك ما تراهُ موافقًا

فاستحسن ابرهيم باشا رأي يحيي بك ونزل الى دمشق واخذت عساكرهُ تجتمع من

جميع الجيات . وأُخرج قنصل انكلترا وقنصل النمسا من دمشق وأُوصلا سالمين الى ايالة صيداء. وسارت المراكب الانكليزية والنمسوية والعثمانية الى عكاء وضربتها وامتلكتها عنوة بعد ضرب ثلاث ساعات وثلث ساعة لانهُ كان قد وصل اليها كثير من صناديق البارود من مصر وكانت ملقاة بين السورين لانهُ لم تكن المهلة كافية لتخزينها فوقعت عليها قنبلة فاشعلتها وكان لذلك فعل مدمش حمل العساكر الذين في عكاء على الهرب منها واستولت الدولة على البر المحيط بالساحل بغير حرب وكذلك استولت على البقاع حينما تركهُ ابرهيم باشا وسار الى دمشق

وسنأتي على تتمة اخبار ابرهيم باشا واخبار ابيد في الجزء التالي

دواء السل

من الخطبة التي القاها الدكتور بهرنغ الالماني على مؤتمر السل الذي عقد في باريس واعلن فيها اكتشافهُ دواء للسل شافياً لهُ واقياً منهُ . قال

تحققت في السنتين الماضيتين وجود جوهر شافٍ للسل يختلف كل الاختلاف عن جوهر اللقاح الذي وصفتهُ منذ ١٥ سنة

وهذا الجوهر الجديد هو العامل الاهمّ في اللقاح البقري الذي اكتشفتهُ وجربتهُ منذ اربع سنوات الى الآن فثبتت فائدتهُ في مقاومة سل البقر

وتأثيرهُ يتوقف على اشباع الخلايا او الحويصلات الحية في جسم الحيوان مادّة تستخلص من سمّ التدرن أسمّيها (T C)

ومتى صارت هذه المادة (T C) جسماً من حويصلات الحيوان الذي يعالج بها وحولتها تلك الحويصلات من حالٍ الى حالٍ فاسمّيها حينئذٍ (T X)

ومادة (T X) وبعبارة اصحّ (T C) توجد في ميكروب التدرّن ولها خواص غريبة فتكون بمثابة شيء لازم لقوام الميكروب ولحلول الاخثار فيهِ وتحليلهِ . ومن خصائصها انها تجعل بعض المواد ثابتة ولها خاصة التثيل في بعض الحالات . ويقال بالاختصار انها الجوهر الحيّ في الميكروب

وعندي انهُ اذا لُقّحت المواشي لوقايتها من التدرّن تحرّرت مادة (T C) التي في